النص التاريخي الموثق لغزوة الأحزاب

د. أحمد محمد شعبان

رئيس قسم البحوث في مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

انتشر الإسلام بعد الهجرة في المدينة ،وتعززت مكانة المسلمين وقوتهم خلال السنوات الخمسة الأولى ، فاشتد حنق خصومهم من اليهود والمشركين ؛ وخاصة بعد طرد يهود بني النضير من المدينة واستمرار المسلمين في تهديد طرق قريش التجارية ، فطاف عدد من سادة بني النضير منهم حيي بن أخطب وسلام بن أبي الحقيق وهوذة بن قيس الوائلي وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق على زعماء قريش وغطفان والقبائل المجاورة لهما يستنهضونهم لغزو المدينة واستئصال شأفة المسلمين فيها ،[١] ووعدوهم بتأليب يهود بني قريظة الذين ما زالوا في المدينة، ووعدوا قبيلة غطفان بنصف تمر خيبر [٢]، فالتقت أحقاد قريش وبني النضير وأطماع غطفان، واتفقت هذه القبائل[٣] على مهاجمة المدينة ، وبدأت تزحف إليها في أوائل شوال من السنة الخامسة للهجرة.

وصلت الأنباء إلى رسول الله ﷺ فاستشار وجوه المهاجرين والأنصار ، فأشار عليه سلمان الفارسي رضي الله عنه بحفر خندق حول المدينة وقال : يا رسول الله إنا كنا بأرض فارس إذا تخوفنا الخيل خندقنا علينا[٤] .

فأعجب الرسول ﷺ والمسلمون بهذا الرأي ، وركب رسول الله ﷺ فرسه في نفر من أصحابه[٥] لاختيار المكان المناسب لحفر الخندق .

والمعروف أن المدينة محاطة بالحرار من ثلاث جهات ، ومشبكة بالبنيان والنخيل[٦] لا يستطيع جيش كبير دخولها والقتال في مساحات واسعة إلا من جهة واحدة هي الجهة الشمالية

---

[١]) الواقدي ٤٤١/٢-٤٤٢ ، السيرة النبوية ١٠٢٤/٣

[٢]) نقله الحافظ في الفتح ٣٩٣/٧ عن مغازي موسى بن عقبة ، وعند الواقدي ٤٤٣/٢ جعلوا لغطفان تمر خيبر سنة.

[٣]) يذكر الإمام السيوطي في الخصائص ٥٦٥/١ أن الأحزاب هم: قريش وغطفان وبنو سليم وبنو أسد وفزارة وأشجع وبنو مرة.

٤) الواقدي ٤٤٥/١ ، والطبري ٥٦٦/٢ ، قال ابن هشام ١٠٣٤/٣: ويقال إن سلمان الفارسي أشار به على رسول الله ﷺ،

[٥]) الواقدي ٤٤٥/١ .

٦) ابن سعد ٦٦/٢ والسمهودي ٢٦٧/٤.

الغربية، فخط النبي ﷺ الخندق في تلك الجهة ، من طرف الحرة الشرقية عند أجم الشيخين[١] إلى طرف الحرة الغربية عند أطم المذاد[٢]. ثم خرج ﷺ بالمسلمين إلى تلك الجهة من المدينة ، فعسكر عند سفح جبل سلع[٣] وضربت له قبة على جبل ذباب[٤] ، وندب الناس وأعلمهم بدنو عدوهم وبخطورة الوضع وبضرورة الجد والنشاط في حفر الخندق حتى يتم قبل وصول المشركين [٥] ، و قسم العمل بينهم فأوكل للمهاجرين الحفر من جبل ذباب إلى ناحية راتج ، وأوكل للأنصار أن يحفروا من ذباب إلى جبل بني عبيد[٦] وأوكل لبني عبد الأشهل أن يوصلوا الخندق من راتج إلى طرف الحرة الشرقية عند أجم الشيخين، كما أوكل لبني دينار أن يحفروا خندقاً فرعياً متصلاً بالخندق الرئيسي من الجهة الغربية ويمدوه جنوباً إلى غربي المصلى حيث اجتماع وادي بطحان مع رانوناء.[٧]

بلغ عدد المسلمين المشاركين في الحفر ثلاثة آلاف[٨] ، فخص النبي ﷺ كل عشرة بأربعين ذراعاً[٩]، وبدأوا يحفرون بجد ونشاط في ظروف صعبة[١٠] ، فقد كانت السنة جدباء، والمؤن

---

١) تاريخ الطبري ٤٥/٣ ودلائل النبوة للبيهقي ٤١٩/٣ ، وورد عند البيهقي في الدلائل ٤١٨/٣ : أن بداية الخندق من الأجم الأسمر، وفي تفسير الطبري ١٣٣/٢١ : من أحمر الشيخين. قال العياشي ص٣٤٨: "وكل هذا ينطبق على الأطمين المذكورين". ثم حدد مكانهما في طرف حرة بني حارثة عند القلعة التي تتوسط طريق سيد الشهداء . ومكانهما الآن داخل بستان يقع بين شارع الملك فهد وشارع أبي ذر.

٢) جاء في بعض الروايات تحديد نهاية الخندق بـ المذابح ، وفي بعضها بـ المداحج والجمهور على ما أثبتناه .انظر المراجع السابقة و شرح المواهب اللدنية للزرقاني ١٠٢/٢ ، ومرويات غزوة الخندق للمدخلي ص١٩٦.والمذاد : مكان (بستان أو موضع أو حصن) بطرف منازل بني سلمة مما يلي مساجد الفتح وجبل بني عبيد. انظر السمهودي ٢٦٦/٤.

٣) الواقدي ٤٤٥ .

٤) السمهودي ٢٦٩/٤.

٥) الواقدي ٤٤٥ .

٦) ابن سعد ٦٦/٢ وعند الواقدي ٤٥٠/٢ "وكان للأنصار ما بين ذباب إلى خربى"

٧) الواقدي ٤٥٠/١-٤٥١، وابن سعد ٦٦/٢ ، والسمهودي ٢٦٦/٤.

٨) وإلى هذا ذهب جمهور أهل العلم منهم: ابن إسحاق وابن سعد والطبري والبيهقي وابن عبد البر وابن الأثير وابن سيد الناس وابن كثير وغيرهم انظر مرويات غزوة بدر ص ٢٢٤ ،ورجح ابن حزم في كتابه جوامع السيرة ص ١٨٧ أن جيش المسلمين لم يزد في هذه الغزوة على تسعمائة ، وقال: وهو الصحيح الذي لاشك فيه. وروى البيهقي في الدلائل ٣٩٤/٣ بسنده عن قتادة أنهم كانوا ألفاً ، قال ابن القيم: ٣٧١/٣: إنهم كانوا ثلاثة آلاف . ثم قال: وقال ابن إسحاق خرج في سبعمائة. قال ابن القيم: "وهذا غلط من خروجه يوم أحد" ، وقال القسطلاني ١١١/١ : وكانوا ثلاثة آلاف ، ثم قال : قال الشافعي : ووهم من قال كانوا سبعمائة.

٩) ابن سعد ٨٢/٤ والمعجم الكبير للطبراني ٢٦٠/٦ ، ودلائل النبوة للبيهقي ٤١٨/٣

١٠) ويذكر الواقدي ٤٤٥ أن المسلمين استعاروا من بني قريظة - وكانوا يومئذ سِلْم لرسول الله ﷺ - آلة كثيرة من مساحي وكرازين ومكاتل ليعملوا بها، ونقل ذلك السمهودي ٢٦٨/٤ عن الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان.

شحيحة ، والفصل شتاء قارساً ، والوقت اللازم لإنجاز الخندق قبل أن تصل الجموع الزاحفة إلى المدينة قصيراً.

روى البخاري عن أنس ﷺ قال : خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة ، فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم ، فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال :

اللهم إن العيش عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة

فقالوا مجيبين له :

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبدا [١]

وروى بسنده عن أنس قال : كان أهل الخندق يؤتون بملء كفي من الشعير فيصنع لهم بإهالة سنخة[٢] توضع بين يدي القوم ، والقوم جياع ، وهي بشعة في الحلق ، ولها ريح منتن.[٣]

وكان ﷺ يشاركهم العمل والجوع ، فقد روى البخاري عن البراء بن عازب ﷺ قال : لما كان يوم الأحزاب وخندق رسول الله ﷺ رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني الغبار جلدة بطنه وكان كثير الشعر ، فسمعته يرتجز بشعر ابن رواحة وهو ينقل التراب ويقول :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

إن الألى قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا

قال : ثم يمد بها صوته بآخرها[٤] .

وروى الترمذي عن أبي طلحة قال : شكونا إلى رسول الله ﷺ الجوع فرفعنا عن بطوننا عن حجر حجر ، فرفع رسول الله ﷺ عن حجرين .[٥]

وكان لمشاركة النبي ﷺ أثر بالغ في نشاط المسلمين وإنجازهم ، وكانوا إذا رأوا من الرجل فتوراً ضحكوا منه[٦] .

---

[١]) البخاري كتاب المغازي - باب غزوة الخندق ١٣٧/٥ .

[٢]) الإهالة : ما يؤتدم به من سمن أو زيت أو شحم : وسنخة : أي تغير طعمها ولونها من قدمها .

[٣]) . البخاري كتاب المغازي - باب غزوة الخندق ١٣٨/٥

[٤]) البخاري كتاب المغازي - باب غزوة الخندق ١٤٠/٥

[٥]) سنن الترمذي ، باب ما جاء في معيشة أصحاب النبي ﷺ ، ٥٨٥/٤.

[٦]) الواقدي ٤٤٦/٢ ، ودلائل النبوة للبيهقي ٣٩٩/٣ .

وكان مع المسلمين عدد من المنافقين تململوا من العمل ، وتسلل بعضهم إلى أهله دون أن يستأذن رسول الله ﷺ [١] ، فيما ضاعف بعض المسلمين جهودهم كسلمان الفارسي رضي الله عنه ، ولذا تنافس عليه المهاجرون والأنصار كل يقول : سلمان منا ، ونحن أحق به فقال لهم الرسول ﷺ : سلمان منا أهل البيت[٢] .

وفي غمرة العمل ظهرت معجزات عدة للنبي ﷺ ، منها : ما رواه البخاري بسنده عن جابر رضي الله عنه قال : إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة ، فجاؤوا النبي ﷺ فقالوا : هذه كدية عرضت في الخندق ، فقال : أنا نازل ، ثم قام وبطنه معصوب بحجر ـ ولبثنا ثلاثة لا نذوق ذواقاً ـ فأخذ النبي ﷺ المعول فضرب فعاد كثيباً أهيل أو أهيم.[٣] وفي رواية الإمام أحمد : "ثم هبط إلى الصخرة فأخذ المعول فقال: بسم الله ، فضرب ضربة فكسر ثلث الحجر وقال : الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام ، والله إني لأبصر قصورها الحمر من مكاني هذا ، ثم قال: بسم الله ، وضرب أخرى فكسر ثلث الحجر ، فقال : الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس ، والله إني لأبصر المدائن ، وأبصر قصرها الأبيض من مكاني هذا ، ثم قال : بسم الله ، وضرب ضربة أخرى ، فقلع بقية الحجر ، فقال : الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن ، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا".[٤]

ومنها ما رواه ابن إسحاق أن أخت النعمان بن بشير أرسلتها أمها بحفنة من تمر ليتغدى بها أبوه بشير بن سعد وخاله عبد الله بن رواحة وهما في الخندق فمرت برسول الله ﷺ فأخذ منها التمر وبسطه فوق ثوب ثم دعا أهل الخندق فجعلوا يأكلون منه وهو يزيد حتى صدر أهل الخندق عنه وإنه ليسقط من أطراف الثوب[٥] .

ومنها أن جابر بن عبد الله رضي الله عنه لما رأى آثار الجوع الشديد على رسول الله ﷺ ؛ ذهب إلى بيته فذبح عنزة صغيرة ، وأمر امرأته فطحنت صاعاً من شعير ، ثم جاء إلى النبي ﷺ وقال: طُعيِّم لي فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان وفوجئ جابر رضي الله عنه بدعوة النبي ﷺ لأهل الخندق

---

[١]) ابن هشام ١٠٢٥/٣-١٠٢٦

[٢]) الواقدي ٤٤٦/٢، وابن هشام ١٠٣٤/٣ ، والمستدرك للحاكم ٥٩٨/٣

[٣]) البخاري كتاب المغازي - باب غزوة الخندق ١٣٨/٥

[٤]) مسند الإمام أحمد ٣٠٣/٤ ، وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ١٣٠/٦ ، وأبو نعيم في دلائل النبوة ٦٣٩/٢ ، والبيهقي في دلائله ٤٢١/٣.

[٥]) ابن هشام ١٠٢٧/٣-١٠٢٨ بتصرف .

جميعاً ، فأكلوا من ذلك الطعام وشبعوا ، وبقيت برمة اللحم تغط به كما هي ، وبقي العجين يخبز كما هو[١] .

وخلال فترة وجيزة [٢] ، وقبل وصول المشركين إلى المدينة ، أنجز المسلمون حفر الخندق ، ويقدر طوله بخمسة آلاف ذراع[٣] ، وعرضه حوالي تسعة أذرع تقل قليلاً في الأماكن الصخرية ، وعمقه يتراوح ما بين سبعة إلى عشرة أذرع،[٤].وجعلوا له ممرات للخروج إلى الطرف الآخر عند الضرورة.[٥] ثم أمر النبي ﷺ برفع النساء والذراري في الآطام[٦]. ، وعقد الألوية فدفع لواء المهاجرين لزيد بن حارثة ، ولواء الأنصار لسعد بن عبادة[٧]، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم وخرج بالمسلمين إلى سلع فجعله خلف ظهره.[٨]

ثم استعرض الجيش فرد من لم يبلغ الخامسة عشرة من عمره وأجاز من بلغها ومن هؤلاء عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وزيد بن ثابت ، وأبو سعيد الخدري والبراء بن عازب رضي الله عنهم أجمعين[٩]

ثم قسم الجيش إلى مجموعات ووزعها على طول الخندق لصد أي هجوم يقوم به المشركون، وقال لهم : إن بُيتم فإن دعواكم (حم لا ينصرون). [١٠]

---

[١]) انظر صحيح البخاري كتاب المغازي - باب غزوة الخندق ١٣٨/٥- ١٣٩

[٢]) اختلف العلماء في مدة حفر الخندق ، فهي عند الواقدي أربعً وعشرون ليلة ، وعند ابن عقبة قريب من عشرين ليلة ، وذكر النووي في الروضة أنها خمس عشرة ليلة، وذكر ابن القيم في الهدي النبوي أن المدة استغرقت شهراً كاملاً ، انظر فتح الباري ٢٨٠/١٥ . ، قال ابن سعد ٦٧/٢ وابن الجوزي في كتابه الوفا ٦٩٣: وفرغوا من حفره في ستة أيام . وإلى هذا مال عدد من المعاصرين منهم محمد محمد أبو شهبة في كتابه السيرة النبوية ٢٢٩/٢

[٣]) انظر فتح الباري لابن حجر ٢٨٥٠/١٥ . ويرى بعض المعاصرين أن الخندق امتد اثني عشر ألف ذراع، أي ما يعادل ستة كيلو مترات تقريباً. انظر مرويات غزوة الخندق ص٢٠٢ و٢٠٣.

[٤]) فتح الباري ٢٨٥٠/١٥ .

[٥]) الواقدي ٤٥٢/٢

٦) ابن سعد ٦٧/٢ والآطام : جمع أطم وهي الحصون ، وكانت منتشرة بكثرة في المدينة، ومن أشهر الآطام التي رفع فيها النساء يومئذ أطم بني حارثة انظر الواقدي ٤٥١/٢ -٤٥٤. والمعجم الكبير للطبراني٣١٨/٤، ومجمع الزوائد للهيتمي ١٣٣/٦ ، وقيل: كانت نساء النبي ﷺ كلهن فيه، وقيل : كن في المسير أطم في بني زريق، انظر الواقدي ٤٥١/٢ -٤٥٤. ويقال: كان بعضهن في فارع وهو الأطم الذي كانت فيه صفية عمة النبي ﷺ . انظر الواقدي ٤٥١/٢ -٤٥٤. وصحيح مسلم ١٨٧٩/٤ ومسند الإمام أحمد ١٦٦/١.

٧) ابن سعد ٦٧/٢

٨) ابن هشام ١٠٢٩/٣

[٩]) الواقدي ٤٥٣/٢

[١٠]) الطبقات الكبرى لابن سعد ٧٢/٢ وانظر ابن هشام ١٠٣٧/٣ ،

وضُرب لرسول الله ﷺ قبة من أدم على مرتفع بأصل جبل سلع من الجهة الغربية[١] وكان يعقب فيها بين نسائه عائشة وزينب بنت جحش وأم سلمة[٢] .

وفي شوال من السنة الخامسة من الهجرة[٣]، وصلت جموع المشركين[٤] أطراف المدينة ، فنزلت قريش ومن تابعها من بني كنانة وأهل تهامة بمجتمع الأسيال من رومة بين الجرف وزغابة[٥]،وكانوا بقيادة أبي سفيان بن حرب[٦] ونزلت غطفان ومن تبعها من أهل نجد بذنب وادي نقمي إلى جانب أحد[٧].وكانوا بقيادة عيينة بن حصن الفزاري.[٨]

وتسلل على الفور رأس الفتنة اليهودي حيي بن أخطب إلى بني قريظة وهي القبيلة اليهودية الوحيدة التي بقيت في المدينة إلى ذلك الوقت،[٩] وكان بينها وبين المسلمين حلف يقضي بالنصرة حال الحرب[١٠]، ولما علم زعيم بني قريظة كعب بن أسد بقدوم حيي بن أخطب أمر بإقفال باب حصنه في وجهه، وطلب منه مغادرة الديار [١١]، وقال له : ارجع عنا فإنك إنما تريد هلاكي وهلاك قومي ، وإني عاقدت محمداً وعاهدته فلم نر منه إلا صدقاً ، والله ما أخفر لنا ذمة ، ولا هتك لنا ستراً ، ولقد أحسن جوارنا [١٢].

لكن حيي بن أخطب أبى أن يرجع وظل يحاور كعباً وعدداً من سادة بني قريظة حتى استجابوا لطلبه ووافقوا على نقض العهد مع المسلمين والانضمام إلى جيوش الأحزاب ؛ شريطة

---

١) المكان الذي ضرب النبي ﷺ قبته عليه في هذه الغزوة بني عليه فيما بعد مسجد سمي مسجد الفتح ولا يزال معروفاً حتى اليوم .

٢) الواقدي ٤٥٤/٢

٣) وردت روايات أخرى تدل على أن غزوة الأحزاب وقعت في السنة الرابعة، نقل ذلك عن الزهري ، والإمام مالك ونقله البخاري في صحيحه عن موسى ابن عقبة، وإليه مال ،.وتابعهم ابن قتيبة وابن حزم وابن خلدون وغيرهم . إلا أن جماهير أهل العلم ذهبت إلى أنها حدثت في السنة الخامسة من الهجرة، وهذا الذي رجحه الذهبي و ابن القيم في زاد المعاد ٢٦٩/٣ ، وابن كثير في البداية والنهاية٩٤/٤، وغيرهم انظر المواهب اللدنية للقسطلاني ١٠٣/٢. وحاول البيهقي في الدلائل ٣٩٥/٣ الجمع بين الأقوال فقال: ....فمن قال أربع سنين أراد بعد أربع سنين وقبل بلوغ الخامس، ومن قال سنة خمس أراد بعد الدخول في السنة الخامسة وقبل انقضائها والله أعلم.".

٤) بلغ عددها عشرة آلاف مقاتل. ابن هشام ١٠٢٩/٣،و جامع البيان ١٢٩/٢١ ، وزاد المعاد ٢٧١/٣.

٥) ابن هشام ١٠٢٩/٣،وكذا عند الطبري إلا أنه قال: "بين الجرف والغابة" .انظر جامع البيان ١٢٩/٢١

٦) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٥/٢ وزاد المعاد ٢٧١/٣.

٧) ابن هشام ١٠٢٩/٣

٨) زاد المعاد ٢٧١/٣ ، وقد فصلت بعض المصادر أسماء قواد كل قبيلة. انظر مرويات غزوة بدر ص٢٠٩-٢١٦.

٩) كانت بنو قريظة تسكن الجهة الجنوبية الشرقية من المدينة على وادي مهزور،مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ﷺ ص٣١٩..

١٠) دلائل النبوة للبيهقي ٤٠٠/٣ ..

١١) المرجع السابق نفسه، والخبر في ابن هشام ١٠٢٩/٣...

١٢) الواقدي ٤٥٥/٢ ، والخبر في ابن هشام ١٠٣٠/٣..، دلائل النبوة للبيهقي ٤٠٠/٣

أن يبقى حيي معهم في حصونهم ليصيبه ما أصابهم إذا انسحبت الأحزاب دون أن تقضي على المسلمين [١].

ولقي هذا القرار معارضة عدد قليل من اليهود على رأسهم عمرو بن سعدى ، وكان موقفهم هذا سبباً في نجاتهم فيما بعد.

عاد حيي بن أخطب إلى زعماء الأحزاب بخبر نقض بني قريظة العهد مع المسلمين ، فقرروا مهاجمة المدينة لكنهم فوجئوا بالخندق ، وقالوا: إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها ، وساروا على امتداد الخندق يبحثون عن معبر يمرون منه فلم يجدوه ، وكان المسلمون يتابعون تحركاتهم من الطرف الآخر للخندق ، وكلما اقتربت مجموعة من المشركين من جهة من جهات الخندق تصدى لها المسلمون ، وحاول بعض الفرسان اقتحام الخندق فردهم المسلمون بالنبل والحجارة ، واستمرت المواجهات عبر الخندق طوال النهار ، فلما غربت الشمس عاد المشركون إلى معسكراتهم ، واضطر بعض المسلمين إلى تأخير بعض الصلوات عن أوقاتها ، فعن جابر ﷺ أن عمر بن الخطاب جاء يوم الخندق بعد ما غربت الشمس جعل يسب كفار قريش وقال : يا رسول الله ما كدت أن أصلي حتى كادت الشمس أن تغرب. فقال النبي ﷺ : "والله ما صليتها" فنزلنا مع النبي ﷺ بطحان فتوضأ للصلاة وتوضأنا لها فصلى العصر بعدما غربت الشمس ثم صلى بعدها المغرب. [٢]

وبلغ رسول الله ﷺ لقاء حيي بن أخطب ببني قريظة ، فأرسل الزبير بن العوام يستطلع الأمر ، فرجع فقال: يا رسول الله رأيتهم يصلحون حصونهم ويدربون طرقهم وقد جمعوا ما شيتهم.[٣] فدعا رسول الله ﷺ عدداً من الصحابة فيهم سيد الأوس سعد بن معاذ وسيد الخزرج سعد بن عبادة ، وقال لهم : ((انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا ؟ فإن كان حقاً فالحنوا لي لحناً أعرفه ولا تفتوا في أعضاد الناس، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس[٤] . فلما ذهبوا إليهم جاهروهم بالعداوة وقالوا : مَن رسول الله ؟ لا عهد بيننا

---

١) الواقدي ٤٥٤ - ٤٥٦ ، وابن هشام ١٠٣٠/٣ -١٠٣١.

٢) رواه البخاري ١٥٥/١ ، كتاب الصلاة – باب من صلى بالناس جماعة بعد ذهاب الوقت ، وباب قضاء الصلوات الأولى فالأولى ، ... ومسلم ٤٣٨/١ ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة – باب الدليل لمن قال الصلاة الوسطى هي صلاة العصر ...

٣) عندها قال النبي ﷺ : إن لكل نبي حوارياً وإن حواريَّ الزبير. الواقدي ٤٥٧/٢ ، وأصل الخبر في صحيح البخاري ١٤٢/٥، كتاب المغازي - باب غزوة الخندق و.في مسلم ١٨٧٩/٤، كتاب فضائل الصحابة - باب من فضائل طلحة والزبير رضي الله عنهما وغيرهما.

٤) ابن هشام ..١٠٣١/٣ ، والخبر في سنن البيهقي ٢٣٢/٩ ، ،وفي دلائله ٤٠٣/٣، ٤٢٩ .

وبين محمد ولا عقد ، وتشاتموا مع الوفد ، فرجع الوفد إلى رسول الله ﷺ وقالوا : عضل والقارة أي : كغدر عضل والقارة بأصحاب الرجيع ، فكبر رسول الله ﷺ وقال : أبشروا يا معشر المسلمين بنصر الله وعونه.[١]

وتكررت محاولات المشركين اقتحام الخندق ، وتصدى لهم المسلمون ، واستمر التراشق بالسهام والحجارة ، وظهرت بوادر غدر اليهود ، وأخذ بعضهم يطوف بالحصون التي وضع فيها المسلمون النساء والأطفال والشيوخ ، فأحس المسلمون بالبلاء ، ونجم النفاق في ضعفاء الإيمان ، وجهر به بعضهم ، وقالوا: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط [٢] ، وطلب بعضهم أن يرجع إلى داره بحجة أنها قريبة من العدو [٣].

وشاع خبر بأن بني قريظة تريد أن تغير على الذراري والنساء ليلاً وأنهم طلبوا من حيي بن أخطب أن يأتيهم بألف من قريش وألف من غطفان ليهاجموهم من داخل المدينة [٤] ، فاشتد البلاء على المسلمين ، وبلغ الخوف ذروته ، وصاروا كما قال سبحانه : ((إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ، هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً))[٥]، ولمجابهة هذا الأمر أرسل النبي ﷺ مجموعتين من الصحابة بقيادة سلمة بن أسلم بن خريش الأشهلي وزيد بن حارثة يطوفون بالمدينة ويظهرون التكبير في أرجائها حتى الصباح .[٦] وكلف النساء في الحصون إذا شعرن بالخطر أن يرفعن السيوف من فوق الحصون ليراها المسلمون ويحضروا لنجدتهن[٧].

وتكررت محاولات المشركين اقتحام الخندق أياماً عديدة ، وكان زعماء المشركين يتناوبون قيادة الهجوم ، فيغدو أبو سفيان يوماً وهبيرة بن وهب يوماً وعكرمة بن أبي جهل يوماً وضرار بن الخطاب يوماً [٨]،وكانت المناوشات تستمر في بعض الأيام طوال النهار وجزءاً

---

[١]) ابن هشام ١٠٣١/٣-١٠٣٢ والواقدي ٤٥٨/٢-٤٥٤٩ بتصرف .

[٢])ابن هشام ١٠٣٢/٣ والواقدي ٤٥٩/٢-٤٦٠

[٣])ابن هشام ١٠٣٢/٣

[٤]) الواقدي ٤٦٠/٢

[٥]) الأحزاب آية ١١ . وانظر طبقات ابن سعد ٦٧/٢.

[٦]) الواقدي ٤٦٠/٢

[٧]) انظر المعجم الكبير للطبراني ٣١٨/٤، ومجمع الزوائد للهيتمي ١٣٣/٦. .

[٨]) الواقدي ٤٦٨/٢.

من الليل فقد روى الإمام أحمد[١] والنسائي[٢] أن المشركين شغلوا رسول الله ﷺ يوماً عن صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء فصلاهن جميعاً.

ومرة تمكّن عدد من فرسان المشركين من اجتياز الخندق فيهم عمرو بن عبد ود وعكرمة بن أبي جهل وضرار بن الخطاب ونوفل بن عبد الله المخزومي ، وجالوا في السبخة بين الخندق وسلع ، فتصدى لهم علي بن أبي طالب في نفر من المسلمين ، وطلب عمرو المبارزة فبارزه علي بن أبي طالب ﷺ وقتله ، وحمل الزبير على نوفل بن عبد الله بالسيف فقتله.[٣] وفرّ الباقون.[٤]

فطلبت بنو مخزوم من النبي ﷺ أن يبيعهم جثته ، فقال رسول الله ﷺ : لا حاجة لنا في جسده ولا بثمنه، فخلى بينهم وبينه.[٥]

وبدأ بعض اليهود التحرش بحصون المسلمين ، فاقترب رجل من بني ثعلبة بن سعد يقال له : نجدان من حصن بني حارثة ووقف على فرسه أسفل الحصن وجعل يقول للنساء: انزلن خير لكن ، فحركن السيوف فأبصرها بعض المسلمين وأسرعوا إليهم ، وانقض عليه ظهير بن رافع فقتله وأخذ رأسه إلى النبي ﷺ[٦]

وطاف بعض اليهود بحصن فارع ، وحاول أحدهم تسلقه ، وكان فيه بعض زوجات النبي ﷺ وعمته صفية بنت عبد المطلب ، وعدد من نساء الصحابة ، فضربته صفية رضي الله عنها بعمود على رأسه فقتلته ، وألقت برأسه إلى أصحابه خارج الحصن ، فذعروا وانسحبوا وهم يقولون : قد علمنا أن محمداً لم يكن ليترك أهله خلوفاً ليس معهن أحد[٧].

وشدد المسلمون المراقبة على أطراف الخندق ليلاً ونهاراً ، وخاصة في الأماكن التي يمكن أن تقفزها الخيل القوية ، وشارك الرسول ﷺ في الحراسة قرب القبة التي ضربت له ، فعن

---

[١]) مسند الإمام أحمد ٣٧٥/١.

[٢]) سنن النسائي ٢٩٧/١ باب المواقيت - كيف يقضي الفائت من الصلاة.

[٣]) الطبقات الكبرى لابن سعد ٦٨/٢. ، ودلائل النبوة للبيهقي ٤٣٧/٣ وقيل إن قاتله علي وقيل غير ذلك والراجح ما أثبتناه. انظر مرويات غزوة الخندق ص٣٠١ - ٣٠٥.

[٤]) ابن هشام ١٠٣٥/٣.، والمستدرك ٣٢/٣

[٥]) ابن هشام ١٠٦٤/٣ .، والخبر في سنن البيهقي ١٣٣/٩، وهو أيضاً في مسند الإمام أحمد ٢٤٨/١ ، وسنن الترمذي ٢١٤/٤ كتاب الجهاد - باب ما جاء لا تفادى جيفة الأسير وقال حديث حسن غريب. بدون التصريح باسمه. لكن رواه الحاكم ٣٢/٣ بسنده عن ابن عباس وفيه :"فطلبوا أن يواروه ، فأبى سول الله ﷺ حتى أعطوه الدية". والصحيح الذي ذهب إليه العلماء عدم جواز بيع جيفة الكافر أو أخذ ديته ، وضعفوا حديث الحاكم. انظر مرويات غزوة الخندق ص٣١١.

[٦]) انظر المعجم الكبير للطبراني ٣١٨/٤، ومجمع الزوائد للهيتمي ١٣٣/٦. .

[٧]) الحديث رواه الحاكم في المستدرك ٥٠/٤ ، والهيثمي في مجمع الزوائد ١٣٣/٦ وغيرهما. وانظر ابن هشام ١٠٣٩/٣.

عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يختلف إلى ثلمة في الخندق يحرسها حتى إذا آذاه البرد جاءني فأدفأته في حضني فإذا دفئ خرج إلى تلك الثلمة يحرسها ويقول : ما أخشى أن يؤتى الناس إلا منها ، فبينا رسول الله ﷺ في حضني قد دفئ وهو يقول : ليت رجلاً صالحاً يحرسني قالت : إلى أن سمعت صوت السلاح وقعقعة الحديد فقال رسول الله ﷺ من هذا ؟ فقال : سعد بن أبي وقاص ، قال : عليك بهذه الثلمة فاحرسها ، قالت ونام رسول الله ﷺ حتى سمعت غطيطه[١] .

ولتخفيف الضغط على المسلمين أراد النبي ﷺ أن يصالح غطفان على ثلث ثمار المدينة على أن يرجعوا عن قتال المسلمين ، فاستشار زعيمي الأوس والخزرج سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فقالا : يا رسول الله أمراً تحبه فتصنعه أم شيئاً أمرك الله به لا بد لنا من العمل به ، أم شيئاً تصنعه لنا ؟ قال : بل شيء أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا لأنني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما ، فقال سعد بن معاذ : يارسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها تمرة إلا قرى أو بيعاً ، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك نعطيهم أموالنا ؟ والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم. فقال النبي ﷺ : فأنت وذاك [٢]، وترك مصالحة غطفان.

ومرت أيام والحصار على حاله ، يحاول بعض المشركين اجتياز الخندق فيتصدى لهم المسلمون ، ويتراشق الطرفان بالنبل والحجارة ، وقد أصيب في إحدى المرات سعد بن معاذ بسهم في أكحله وأخذ يعاني منه ، فأمر رسول الله ﷺ بتطبيبه في المسجد النبوي ، في خيمة امرأة من أسلم يقال لها رفيدة حتى يعوده من قريب [٣]، واستشهد في المناوشات خمسة من الصحابة كلهم من الأنصار وهم: أنس بن أوس وعبد الله بن سهل الأشهليان ، والطفيل بن النعمان وثعلبة بن غنمة السلميان ، وكعب بن زيد وهو من بني دينار النجاري.[٤]

---

[١])الواقدي ٤٦٣/٢ ،وقد روى البخاري والترمذي ما يقويه ولكن دون التصريح بالخندق.. مرويات غزوة الخندق ص٢٢٩ -٢٣٠.

[٢]) ابن هشام ١٠٣٣-١٠٣٤

[٣]) انظر صحيح البخاري ١٤٤/٥ كتاب المغازي - باب غزوة الخندق ، ومسلم ١٣٨٩/٣ كتاب الجهاد والسير - باب إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب. و ابن هشام ١٠٥٠/٣

[٤]) ابن هشام ٢٧٣/٣.

وأصيب من المشركين ثلاثة هم: نوفل بن عبد الله وعمرو بن عبد ود ، وعثمان بن منبه بن أمية أصابه سهم فمات منه بمكة.[١]

ولما طال الحال على المسلمين شكوا إلى رسول الله ﷺ ما يعانونه من خوف وجهد وجوع ، فأخذ رسول الله ﷺ يدعو ويلح بالدعاء ويقول كما يروي الإمام البخاري : "اللهم منزل الكتاب ، سريع الحساب ، اهزم الأحزاب ، اللهم اهزمهم وزلزلهم ".[٢]

ويروي ابن سعد أن رسول الله ﷺ دعا في المكان الذي ضربت فيه قبته - والذي صار فيما بعد مسجداً يسمى مسجد الفتح - يومي الاثنين والثلاثاء والأربعاء فاستجيب له في اليوم الأخير .

وكان المشركون أيضاً يعانون من برودة الطقس ، وخاصة مشركو مكة الذين اعتادوا الطقس الدافئ شتاء ، وبدؤوا يتململون من طول الوقت وعدم تحقيق أي نتيجة.

ويورد ابن سعد خبراً بروايات عدة أن نعيم بن مسعود الغطفاني قدم إلى رسول الله ﷺ مسلماً وقال : يا رسول الله إني قد أسلمت ، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي فمرني بما شئت ، فقال ﷺ : إنما أنت رجل واحد فخذل عنا إن استطعت فإن الحرب خدعة .

فخرج من فوره إلى بني قريظة ـ وكان نديماً لهم في الجاهلية ـ فقال : يا بني قريظة قد عرفتم ودّي لكم وخاصة ما بين وبينكم ، وإن قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم : البلد بلدكم فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدرون أن تحولوا منه إلى غيره ، وإن قريشاً وغطفان قد جاؤوا لحرب محمد وأصحابه فإن رأوا نهزة أصابوها وإلا لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبينهم ، ولا طاقة لكم به ، فلا تقاتلوه حتى يعطوكم منهم رهائن يكونون بأيديكم ، قالوا : لقد أشرت بالرأي ، ثم أتى أبا سفيان ومن معه من أشراف قريش فقال لهم : قد عرفتم ودي لكم، وإن اليهود قد ندموا على نقض العهد مع محمد وقد راسلوه بأن يأخذوا من أشرافكم رهائن يدفعونها إليه ثم يكونون معه عليكم ، ثم ذهب إلى غطفان ، فقال لهم مثل ذلك .

وفي ليلة سبت من ليال شوال أرسل أبو سفيان عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان إلى بني قريظة فقالوا لهم : إنا لسنا بدار مقام ، وقد هلك الخف والحافر فأعدوا للقتال حتى نناجز محمداً ونفرغ لما بيننا وبينه ، فقالت اليهود : إن اليوم سبت وهو يوم لا نعمل فيه ، ولسنا مع ذلك نقاتل معكم حتى تعطونا رهائن ، لأننا نخشى إن ضرستكم الحرب واشتد

---

[١]) ابن هشام ١٧٣/٣

[٢]) البخاري ١٤٢/٥ ، المغازي - باب غزوة الخندق.

عليكم القتال أن تتركونا ، فلما رجعت الرسل قالت قريش وغطفان صدقكم والله نعيم ، وبعثوا إلى اليهود : إنا والله لا نرسل إليكم رجلاً واحداً فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا ؛ فقالت قريظة : إن الذي ذكر لكم نعيم لحق ، ونجح نعيم في زرع الشك بين الأحزاب وبني قريظة ، وفي منع هجومهم على المسلمين من داخل المدينة وخارجها في وقت واحد[١] ، فتخاذل الفريقان ، ودبت الفرقة بين صفوفهم ، واستجاب الله سبحانه لدعاء رسوله ﷺ فأرسل عليهم ريحاً شديدة فجعلت تكفأ قدورهم ، وتطرح خيامهم ، فاجتمع في نفوسهم عجزهم عن اقتحام الخندق والوصول إلى المسلمين ، والشك في صدق بني قريظة بمهاجمة المسلمين من خلفهم ، والبرد القارس والريح العاتية ، فقرر زعيمهم أبو سفيان الانسحاب إلى مكة.

وأرسل النبي ﷺ حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ليأتيه بخبر المشركين ، فتسلل حذيفة إلى جمعهم فسمع أبا سفيان يخطب فيهم قائلاً : يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة ، وبلغنا عنهم ما نكره، ولقينا من شدة الريح ما ترون ، ما تطمئن لنا قدر ، ولا تقوم لنا نار ، ولا يستمسك لنا بناء ، فارتحلوا فإني مرتحل[٢] ، فتهيؤا للرحيل .

فرجع حذيفة إلى رسول الله ﷺ وهو قائم يصلي في مرط لبعض نسائه قال حذيفة : فلما رآني أدخلني إلى رجليه وطرح عليَّ طرف المرط ، ثم ركع وسجد وإني لفيه ، فلما سلم أخبرته الخبر[٣].

وفي تلك الليلة جمعت قريش ومن معها متاعهم وانسحبوا عائدين إلى ديارهم ، ورأت غطفان ما فعلت قريش فانسحبت هي الأخرى إلى ديارها بعد حصار دام بضعاً وعشرين يوماً[٤].

---

[١]) قصة نعيم بن مسعود لم ترد في روايات المحدثين ولكنها وردت عن عدد من مؤرخي السيرة النبوية منهم: الواقدي ٤٨٠/٢ وابن سعد ٥٦/٢ باستفاضة ، وابن هشام ١٠٤٠/٣..

[٢]) ابن هشام ٣/ ١٠٤٤

[٣]) المرجع السابق نفسه.، وانظر صحيح مسلم ١٤١٤/٣ كتاب الجهاد والسير - باب غزوة الأحزاب ، والمستدرك ٣١/٣ . وغيرها.

[٤]) اختلف العلماء في مدة الحصار على أقوال ؛ الأول: بضع وعشرون ليلة وإليه ذهب ابن إسحاق وابن سعد وابن جرير وابن الأثير وابن سيد الناس وغيرهم . الثاني: عشرون يوماً ، نقله الحافظ في الفتح عن موسى بن عقبة. الثالث: خمسة عشر يوماً . وهذا ما رجحه الواقدي ٤٩١/٢ ، ونقله القسطلاني عن النووي في الروضة . الرابع: شهر كامل وإليه ذهب ابن القيم . انظر مرويات غزوة الخندق ص٢٨٧ - ٢٩٠

وطلع النهار على المدينة وقد أبعد الله عنها الغزاة ، وحفظ المسلمين ، وألقى في قلوب أعدائهم اليأس والرعب ، وأذن النبي ﷺ لجيشه بالعودة إلى المدينة ، فرجعوا فرحين بنصر الله وتوفيقه.

وصارت هذه الغزوة نقطة تحول كبير في تاريخ المسلمين ، نقلتهم من الدفاع إلى الهجوم كما قال ﷺ:"الآن نغزوهم ولا يغزوننا نحن نسير إليهم"[١].

وأنزل الله فيها آيات تتلى إلى يوم الدين في صدر سورة سميت باسمها "الأحزاب" عرضت جوانب من أحداث الغزوة ، ومواقف المؤمنين والمنافقين واليهود ، وأثر ذلك كله في أحداث الغزوة ونتائجها ، والعبر الكبيرة التي تحملها ، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا {٩} إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا {١٠} هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا {١١} وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا {١٢} وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا {١٣} وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا {١٤} وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْؤُولًا {١٥} قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا {١٦} قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا {١٧} قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا {١٨} أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاء الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا {١٩} يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا {٢٠} لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا {٢١} وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا

---

[١]) صحيح الإمام البخاري ١٤١/٥ كتاب المغازي - باب غزوة الخندق.

مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا {٢٢} مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا {٢٣} لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا {٢٤} وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا {٢٥} ﴾

غزوة بني قريظة:

بعد انسحاب المشركين عن المدينة وعودة النبي ﷺ والمسلمين إلى منازلهم ، نزل جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ يأمره أن يتوجه إلى بني قريظة ليستأصلهم ويطهر المدينة منهم جزاء وفاقاً على غدرهم ونقضهم العهد في أصعب الأوقات ، وقال له: أو قد وضعت السلاح ؟ والله ما وضعناه فاخرج إليهم . قال: "إلى أين؟ " قال: ها هنا وأشار إلى بني قريظة [١] فأمر رسول الله ﷺ مؤذناً فأذن في الناس " من كان سامعاً ومطيعاً فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة[٢]،ودفع الراية إلى علي بن أبي طالب ﷺ وأمره بالمسير أمامه ، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ،وركب حماره[٣] وتوجه إلى بني قريظة[٤]، وفي الطريق مر الرسول ﷺ بنفر من أصحابه فقال: "هل مر بكم أحد ؟ قالوا : مر بنا دحية الكلبي على بغلة بيضاء ، فقال ﷺ : ذلك جبريل بعث إلى بني قريظة يزلزل بهم حصونهم ، ويقذف الرعب في قلوبهم" [٥].

وامتثل الصحابة الأمر ، وتوجهوا نحو بني قريظة أرسالاً ، وأدركتهم صلاة العصر في الطريق ، فصلاها بعضهم مؤولين الأمر بالإسراع ، بينما أخذ البعض الآخر بظاهر القول فلم يصل العصر إلا في بني قريظة ، حتى إن بعضهم صلاها بعد العشاء الآخرة ، ولم يخطئ النبي ﷺ أياً من الطائفتين[٦] .

ولما اقترب علي ﷺ من حصون بني قريظة سمعهم يسبون النبي ﷺ بأقبح الألفاظ ، فرجع ﷺ إلى النبي ﷺ قائلاً : يا رسول الله لا تدن من هؤلاء الأخابث ، قال : لم ؟ أظنك سمعت منهم أي أذى قال : نعم ، قال : لو رأوني لم يقولوا شيئاً ، فلما دنا رسول الله ﷺ من حصونهم قال : يا إخوان القردة هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته ؟ قالوا : يا أبا القاسم ما كنت جهولاً[٧].

---

[١]) صحيح الإمام البخاري ١٤٢/٥ كتاب المغازي - باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب.

[٢]) ابن هشام ١٠٤٥..، والخبر في البخاري ١٩/٢ ، أبواب صلاة الخوف بلفظ : "لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة ".

[٣]) المستدرك للحاكم ٤٦٦/٢ ومجمع الزوائد للهيثمي ١٤١/٦. (.ز) ، وفي الواقدي ٤٩٧/٢ : "وركب فرسه".

[٤]) وكان خروجه ﷺ إلى بني قريظة في أواخر شهر ذي القعدة . قال ابن سعد ٧٤/٢ : لسبع بقين من ذي القعدة ".

[٥]) ابن هشام ١٠٤٥/٣ بتصرف، والخبر في الواقدي ٤٩٨/٢ - ٤٩٩، والبخاري ١٤٣/٥ كتاب المغازي - باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ... ، ومسند أحمد ١٤٢/٦.

[٦]) ابن هشام ١٠٤٥/٣ ، الخبر في البخاري ١٩/٢ أبواب صلاة الخوف ، ومسلم ١٣٩١/٣ كتاب الجهاد والسير - باب المبادرة بالغزو...

[٧]) ابن هشام ١٠٤٥/٣ ، وانظر الواقدي ٤٩٩/٢ ، ودلائل النبوة للبيهقي ١٣/٤

ونزل رسول الله ﷺ على بئر من آبارهم يقال لها : "أنَّا"[١] وتلاحق به الناس[٢]، وفرضوا حصاراً على بني قريظة خمسة وعشرين يوماً [٣]، وفي مدة الحصار مات أبو سنان بن مِحصَن بن حُرْثان رضي الله عنه فدفنه النبي ﷺ في مقبرة بني قريظة[٤] ، وطرحت إحدى نساء بني قريظة رحى أصابت رأس خلاد بن سويد رضي الله عنه فقتلته.

ورأى رئيس بني قريظة كعب بن أسد الجهد الكبير الذي أصاب قومه نتيجة الحصار فعرض عليهم ثلاث خلال : إما أن يسلموا فيأمنوا على دمائهم وأموالهم وذراريهم ، وقال : والله لقد تبين لكم إنه لنبي مرسل ، وإنه الذي تجدونه في كتابكم ، وإما أن يقتلوا ذراريهم ونساءهم بأيديهم ويخرجوا إلى النبي ﷺ وأصحابه وقال لهم : فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلاً نخشى عليه ، وإن نظهر فلعمري لنجد النساء والأبناء ، وإما أن يباغتوا النبي ﷺ وأصحابه يوم السبت ، فأبوا أن يجيبوه إلى واحدة من هذه الخلال ، فقال لهم : ما بات منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازماً [٥].

ثم قرروا أن ينزلوا على حكم رسول الله ﷺ ولكنهم أرادوا أن يعرفوا ما سيحل بهم لو نزلوا على حكمه ، فطلبوا من النبي ﷺ أن يرسل لهم أبا لبابة بن عبد المنذر الأوسي ليستشيروه ، وكانوا حلفاء الأوس ، فأرسله ﷺ إليهم فلما رأوه قام إليه الرجال وجهش إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه فرقّ لهم ، وقالوا: يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد ؟ قال : نعم ، وأشار بيده إلى حلقه ـ إنه الذبح ـ ثم أدرك من فوره أنه خان الله ورسوله فانطلق إلى المسجد النبوي ، وربط نفسه في سارية من سواري المسجد وقال : لا أبرح من مكاني هذا حتى يتوب الله عليّ مما صنعت ، وأعاهد الله ألا أطأ بني قريظة أبداً ، ولا أُرى في بلد خنت الله ورسوله فيه أبداً.

---

[١]) ضبطها ابن هشام "أني" بالفتح والكسر ، وفي معجم البلدان "أُنَا" بالضم والفتح ، قال في شح المواهب: "وقيل غير ذلك".

[٢]) ابن هشام ١٠٤٥/٣ - ١٠٤٦.

[٣]) ابن هشام ١٠٤٦/٣ ، ومسند الإمام أحمد ١٤٢/٦ . وقيل إن الحصار دام أربعة عشر ليلة ، وقيل خمسة عشر ليلة. انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٧٤/٢ ، ودلائل النبوة للبيهقي ١٣/٤..

[٤]) ابن هشام ١٠٦٤/٣

[٥]) ابن هشام ١٠٤٦/٣ بتصرف.

فلما بلغ رسول الله ﷺ خبره - وكان قد استبطأه -، قال : أما إنه لو جاءني لاستغفرت له ، أما إذ قد فعل ما فعل فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه .[١]

وفي تلك الأثناء نزل جماعة من يهود بني هدل إلى رسول الله ﷺ فأعلنوا إسلامهم وحقنوا دماءهم وأموالهم وذراريهم [٢]، وخرج عمرو بن سعدى الذي عارض بني قريظة في غدرهم فرآه قائد حرس المسلمين محمد بن مسلمة فخلى سبيله فلم يُعلم أين ذهب[٣].

وتقدم علي بن أبي طالب ومعه الزبير بن العوام ونادى : يا كتيبة الإيمان ، والله لأذوقن ما ذاق حمزة أو لأقتحمن حصنهم[٤] ، ودب الرعب في قلوبهم وقرروا أن ينزلوا على حكم النبي ﷺ [٥]، فأمر رسول الله ﷺ باعتقال الرجال في دار امرأة من الأنصار[٦] فقامت الأوس إلى رسول الله ﷺ يطلبون منه أن يحسن إليهم لأن بني قريظة حلفاؤهم من اليهود أسوة ببني قينقاع حلفاء الخزرج ، فقال لهم رسول الله ﷺ : أما ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا بلى . قال : فذاك إلى سعد بن معاذ[٧] ، فأرسل إليه ﷺ - وكان سعد لا يزال يتطبب في المسجد من السهم الذي أصيب به خلال المناوشات - فأتاه قومه فأركبوه على حمار ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ وهم يقولون : يا أبا عمرو أحسن في مواليك ، فإن رسول الله ﷺ إنما ولاك ذلك لتحسن فيهم ، وهو ساكت لا يتكلم فلما أكثروا عليه قال : لقد آن لسعد ألا تأخذه في الله لومة لائم[٨]، فلما انتهى سعد إلى رسول الله ﷺ والمسلمين ، قال رسول الله ﷺ قوموا إلى سيدكم[٩]، فقاموا إليه فأنزلوه وأجلسوه عند النبي ﷺ ، فقال له النبي ﷺ : "هؤلاء

---

[١]) ابن هشام ١٠٤٧/٣ بتصرف.

[٢]) ابن هشام ١٠٤٨/٣،

[٣]) الواقدي ٥٠٤/٢ ، ابن هشام ١٠٤٩/٣

[٤]) ابن هشام ١٠٥١/٣

[٥]) ابن هشام ١٠٤٩/٣ ونزول اليهود على حكم النبي ﷺ رواه البخاري ١٤٤/٥ في كتاب المغازي - باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب عن عائشة وفيه : "قالت: فأتاهم رسول الله ﷺ فنزلوا على حكمه فرد الحكم إلى سعد ، وروى البخاري ٧٢/٨ في كتاب الاستئذان - باب قول النبي ﷺ قوموا إلى سيدكم ؛ عن أبي سعيد. أن بني قريظة نزلوا على حكم سعد.

[٦]) ابن هشام ١٠٥١/٣

[٧]) ابن هشام ١٠٤٩/٣ ، ودلائل النبوة للبيهقي ١٩/٤

[٨]) ابن هشام ١٠٥٠/٣ ودلائل النبوة للبيهقي ١٩/٤

[٩]) البخاري ١٤٣/٥ كتاب المغازي - باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ، ومسلم ١٣٨٩/٣ كتاب الجهاد والسير - باب إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب.

نزلوا على حكمك".[١] فقال : عليكم بذلك عهد الله وميثاقه إن الحكم فيهم لما حكمت ؟ قالوا : نعم . قال : وعلى من ههنا ؟ في الناحية التي فيها رسول الله ﷺ وهو معرض عنه إجلالاً له فقال رسول الله ﷺ : نعم . قال سعد : فإني أحكم فيهم أن تقتل الرجال ، وتقسم الأموال ، وتسبى الذراري والنساء [٢].

فقال رسول الله ﷺ : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة (أي سماوات)[٣] ثم خرج رسول الله ﷺ إلى سوق المدينة فخندق بها خنادق ثم جيء بمن أنبت منهم[٤] أرسالاً فضربت أعناقهم في تلك الخنادق[٥].

وطلب ثابت بن قيس ﷺ من النبي ﷺ أن يهب له الزبير بن باطا وأهله وماله ، وكانت للزبير يد عند ثابت فوهبهم له ﷺ ، فقال ثابت بن قيس : قد وهبك رسول الله ﷺ إليّ ووهب لي مالك وأهلك فهم لك . فقال الزبير بعد أن علم بمقتل قومه : سألتك بيدي عندك يا ثابت إلا ألحقتني بالأحبة ، فضرب عنقه [٦]، وأبقى على ولده عبد الرحمن بن الزبير فأسلم وله صحبة

واستوهبت أم المنذر سلمى بنت قيس النجارية من النبي ﷺ رفاعة بن سَمْوَال القرظي وكان قد لاذ بها ، فوهبه لها ، فاستحيته فأسلم وله صحبة [٧].

وقسم رسول الله ﷺ أموال بني قريظة فيمن حضر الغزوة بعد أن أخرج منها الخمس ، وبعث سعد بن زيد الأنصاري بسبايا من بني قريظة إلى نجد فابتاع لهم بها خيلاً وسلاحاً [٨].

واصطفى رسول الله ﷺ لنفسه من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن جُنَافة ، فأسلمت وكانت في ملكه.[١]

---

[١]) البخاري ٧٢/٨ في كتاب الاستئذان - باب قول النبي ﷺ قوموا إلى سيدكم ومسلم ١٣٨٩/٣ كتاب الجهاد والسير - باب جواز قتال من نقض العهد ....

[٢]) ابن هشام ١٠٥٠/٣ والخبر في البخاري ٧٢/٨ في كتاب الاستئذان - باب قول النبي ﷺ قوموا إلى سيدكم ومسلم ١٣٨٩/٣ كتاب الجهاد والسير - باب جواز قتال من نقض العهد ....

[٣]) ابن هشام ١٠٥٠/٣ والخبر في البخاري ٧٢/٨ في كتاب الاستئذان - باب قول النبي ﷺ قوموا إلى سيدكم ومسلم ١٣٨٩/٣ كتاب الجهاد والسير - باب جواز قتال من نقض العهد ....

[٤]) فكان ممن لم ينبت عطية القرظي ، أسلم وله صحبة ابن هشام ١٠٥٤/٣ ، ومسند الإمام أحمد ٣٨٣/٤ ، وسنن الترمذي ١٤٥/٤ كتاب السير - باب ما جاء في النزول على الحكم .

[٥]) ابن سعد ٧٥/٢ ، وابن هشام ١٠٥١/٣

[٦]) ابن سعد ٧٥/٢ ، وابن هشام ١٠٥١/٣

[٧]) ابن هشام ١٠٥٤/٣، وعيون الأثر ٧٥/٢.

[٨]) ابن هشام ١٠٥٥/٣، وعيون الأثر ٧٥/٢.

ولما انتهى المسلمون من أمر بني قريظة أجيبت دعوة الصحابي الجليل سعد بن معاذ[٢] فانفجر جرحه دماً ، ومات شهيداً ﷺ فقال رسول الله ﷺ : (اهتز العرش لموت سعد بن معاذ)[٣] وحزن لموته رسول الله ﷺ والمسلمون .

أما أبو لبابة فقد ظل مرتبطاً في المسجد ، تأتيه امرأته كل صلاة فتحله ثم يعود فيرتبط بالجذع ، وبعد ست ليال[٤] نزل على النبي ﷺ سحراً وهو في بيت أم سلمة قوله تعالى: " وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم"[٥] فقامت أم سلمة على باب حجرتها وقالت : يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك، فهب الناس ليطلقوه فأبى أن يطلقه أحد إلا رسول الله ﷺ ، فلما خرج ﷺ إلى صلاة الصبح أطلقه.[٦]

---

[١]) قيل: توفي رسول الله ﷺ وهي في ملكه ، ابن هشام ١٠٥٥/٣ ، وقيل : أعتقها وتزوجها وماتت عنده ، ابن سعد ٨١٣١ ، وقيل : بل أعتقها فلحقت بأهلها ..المستدرك ٤١/٤ .

[٢]) وكان لما أصيب دعا الله تعالى وقال: اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقني لها ؛ فإنه لا قوم أحب إلي أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه ، اللهم وإن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لي شهادة ، ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة. ابن هشام ١٠٣٨/٣ ، وفي البخاري ١٤٤/٥ كتاب المغازي - باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ؛ بعضه .

[٣]) البخاري ٤٤/٥ كتاب المناقب - باب مناقب سعد بن معاذ ﷺ.

[٤]) ابن هشام ١٠٤٨/٣، وقيل إنه ارتبط قريباً من عشرين ليلة انظر عيون الأثر ٧٠/٢ ودلائل النبوة ١٣/٤ .

[٥]) التوبة ١٠٢ .

[٦]) ابن هشام ١٠٤٧/٣-١٠٤٨

قائمة بمصادر ومراجع البحث

[١]) الواقدي ٤٤١/٢-٤٤٢ ، السيرة النبوية ١٠٢٤/٣

[١]) نقله الحافظ في الفتح ٣٩٣/٧ عن مغازي موسى بن عقبة ، وعند الواقدي ٤٤٣/٢ جعلوا لغطفان تمر خيبر سنة.

[١]) يذكر الإمام السيوطي في الخصائص ٥٦٥/١ أن الأحزاب هم: قريش وغطفان وبنو سليم وبنو أسد وفزارة وأشجع وبنو مرة.

١) الواقدي ٤٤٥/١ ، والطبري ٥٦٦/٢ ، قال ابن هشام ١٠٣٤/٣: ويقال إن سلمان الفارسي أشار به على رسول الله ﷺ،

[١]) الواقدي ٤٤٥/١ .

١) ابن سعد ٦٦/٢ والسمهودي ٢٦٧/٤.

١) تاريخ الطبري ٤٥/٣ ودلائل النبوة للبيهقي ٤١٩/٣ ، وورد عند البيهقي في الدلائل ٤١٨/٣: أن بداية الخندق من الأجم الأسمر، وفي تفسير الطبري ١٣٣/٢١: من أحمر الشيخين. قال العياشي ص٣٤٨: "وكل هذا ينطبق على الأطمين المذكورين". ثم حدد مكانهما في طرف حرة بني حارثة عند القلعة التي تتوسط طريق سيد الشهداء . ومكانهما الآن داخل بستان يقع بين شارع الملك فهد وشارع أبي ذر.

١) جاء في بعض الروايات تحديد نهاية الخندق بـ المذابح ، وفي بعضها بـ المداحج والجمهور على ما أثبتناه .انظر المراجع السابقة و شرح المواهب اللدنية للزرقاني ١٠٢/٢ ، ومرويات غزوة الخندق للمدخلي ص١٩٦.والمذاد : مكان (بستان أو موضع أو حصن) بطرف منازل بني سلمة مما يلي مساجد الفتح وجبل بني عبيد. انظر السمهودي ٢٦٦/٤.

[١]) الواقدي ٤٤٥ .

[١]) السمهودي ٢٦٩/٤.

[١]) الواقدي ٤٤٥ .

[١]) ابن سعد ٦٦/٢ وعند الواقدي ٤٥٠/٢ "وكان للأنصار ما بين ذباب إلى خربى"

[١]) الواقدي ٤٥٠/١-٤٥١، وابن سعد ٦٦/٢ ، والسمهودي ٢٦٦/٤.

١) وإلى هذا ذهب جمهور أهل العلم منهم: ابن إسحاق وابن سعد والطبري والبيهقي وابن عبد البر وابن الأثير وابن سيد الناس وابن كثير وغيرهم انظر مرويات غزوة بدر ص ٢٢٤ ،ورجح ابن حزم في كتابه جوامع السيرة ص ١٨٧ أن جيش المسلمين لم يزد في هذه الغزوة على تسعمائة ، وقال: وهو الصحيح الذي لاشك فيه. وروى البيهقي في الدلائل ٣٩٤/٣ بسنده عن قتادة أنهم كانوا ألفاً ، قال ابن القيم: ٣٧١/٣: إنهم كانوا ثلاثة آلاف . ثم قال: وقال ابن إسحاق خرج في سبعمائة. قال ابن القيم: "وهذا غلط من خروجه يوم أحد" ، وقال القسطلاني ١١١/١ : وكانوا ثلاثة آلاف ، ثم قال : قال الشافعي : ووهم من قال كانوا سبعمائة.

[١]) ابن سعد ٨٢/٤ والمعجم الكبير للطبراني ٢٦٠/٦ ، ودلائل النبوة للبيهقي ٤١٨/٣

١) ويذكر الواقدي ٤٤٥ أن المسلمين استعاروا من بني قريظة - وكانوا يومئذ سِلْم لرسول الله ﷺ - آلة كثيرة من مساحي وكرازين ومكاتل ليعملوا بها، ونقل ذلك السمهودي ٢٦٨/٤ عن الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان.